اسم الدرس : سورة الأعلى | آيات تتلى ج٢

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، أهلًا بكم في الحلقة الثانية من وقفات مع سورة الأعلى، وهذه تعتبر الحلقة الأخيرة من دوري معكم في برنامج آيات تتلى.

كنّا بفضل الله عز وجل قد انتهينا من السورة الأولى –سورة الملك– في أربع حلقات، وكانت سورة الأعلى في حلقتين، الحلقة الأولى استمعتم إليها بفضل الله سبحانه وتعالى وهذه هي الحلقة الثانية والأخيرة من وقفات مع سورة الأعلى.

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا فهم كتابه والعمل به وأن يجعلنا جميعًا وإياكم من أهل القرآن.

توقفنا عند قوله سبحانه وتعالى بعدما شرحنا المقدمة وعلاقة سورة الأعلى بسورة الطارق وسورة البروج، **وكيف أن المؤمن ينبغي أن يُنَزِّه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص، وألا يسيء الظّن بالله أبدًا مهما حدث**، فمهما رأى المؤمنين يُعذَّبون ويُحرَّقون، ومهما رأى كيد أهل الباطل، لابد أن يُنَزِّه اسم الله الأعلى عن كل نقص، **ويعي أن كل هذه الأفعال لها حكمة** فالله الذي خَلَق وهو قادر على أن يحيي ويميت سبحانه وتعالى، وقادر على أن يميت كل المشركين والكفار ولكن يتركهم الله سبحانه وتعالى ابتلاءً {ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ}[محمد:٤].

{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} أفعاله كلها حكمة سبحانه وتعالى، {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} الله سبحانه وتعالى ثم خَلَق ورزق {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى}.

غذاء البدن وغذاء الروح

تكلمنا في الحلقة الماضية، أن الرزق نوعان:

- رزق حسي مادي للبدن وهو المرعى، وهذا يشترك فيه الإنسان والحيوان،
- و هناك رزق للروح؛ فالإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى من قبضة من الأرض ونفخة من روح الله سبحانه وتعالى، فكانت قبضة الأرض هي جسد الإنسان.

لما صوَّر الله عز وجل آدم وتركه ما شاء الله أن يتركه جعل إبليس يَطِيفُ به[1] والحديث في صحيح مسلم أن الإنسان بقي فترة من طين وصلصال كالفَخّار ثم نفخ الله عز وجل فيه من روحه، وهذا الطين، هذا التراب، هذا الصلصال الفَخّار يحتاج إلى غذاء، غذاؤه من الطين أيضًا، فغذاؤه المرعى، وكما أن بَدَن الإنسان يتحلل وينزل إلى التراب مرة أخرى ويتحلل في التراب، كذلك الغذاء أيضًا يصبح {غُثَاءً أَحْوَى}، غذاء البَدَن أيضًا يتحلل ويبس ويُصبح {غُثَاءً أَحْوَى}.

لكن الروح لا بد لها من غذاء والروح هي نفخة من روح الله سبحانه وتعالى وكذلك غذاؤها من عند الله سبحانه وتعالى وتكلم الله بالوحي غذاءً لهذه الروح، وسمَّى الله عز وجل كتابه روحًا {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} [الشورى:٥٢].

الروح، أي القرآن، هو غذاء للروح وهو روح الإنسان.

فقال الله سبحانه وتعالى في سورة الأعلى بعد أن بَيَّن الغذاء الأول وأنه ييبس وأنه يُصبح {غُثَاءً أَحْوَى}، تذروه الرياح كما في قول الله عز وجل: {هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ} [الكهف:٤٥]، قال سبحانه وتعالى عن الغذاء الآخر: {سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَىٰ}، فهذا غذاء الوحي،

- هذا الغذاء الّذي لا ينتهي أبدًا،
- هذا الغذاء الّذي لا يَخلَق على كثرة الرد،
- هذا الغذاء الذي مهما عاد الإنسان إلى القرآن وتدبر في معانيه، معانيه لا تَنفَذ أبدًا، {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ ربي} [الكهف:١٠٩] قيل من معاني هذه الآيات، معاني كلمات القرآن ومعاني الوحي لا تَنضُب أبدًا ولا تنفد أبدًا، فهي كلمات الله سبحانه وتعالى، فإلى قيام الساعة يظل الناس يحتاجون إلى كتاب الله سبحانه وتعالى قبل أن يُرفع من الصدور -نسأل الله السلامة والعافية-،

١ [عن أنس بن مالك:] لَمّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ في الجَنَّةِ تَرَكَهُ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إبْلِيسُ يُطِيفُ به، يَنْظُرُ ما هُوَ، فَلَمّا رَآهُ أجْوَفَ عَرَفَ أنَّه خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمالَكُ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦١١ • [صحيح]

{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾}

طمأنة الله تعالى لنبيه على الوحي

فقال ربنا سبحانه وتعالى للنّبي صلَّى الله عليه وسلم يطمئنه عن هذا الغذاء، بعض الآثار ذكرت أن النّبي صلَّى الله عليه وسلم كان يتعجل ليحفظ الوحي، خوفًا على الوحي أن يتَفَلَّت منه كما في سورة القيامة {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}[القيامة:١٦]، فكان صلَّى الله عليه وسلم يعاني شِدّةً من نزول الوحي ويريد أن يكرر آيات حتى لا يفقد هذه الآيات[٢]، فقال الله سبحانه وتعالى مطمئنًا النبي صلَّى الله عليه وسلم على هذا الغذاء الذي يكون له ولأمته {سَنُقْرِؤُكَ}، أي القرآن، {فَلا تَنسَى}أي لن تنسى الوحي، لن يضيع الوحي، لن يُصبح الوحي {غُثَاءً أَحْوَى}، سيظل الوحي باقيًا في صدرك، ستحتاجه وتحتاجه أمتك من بعدك.

{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ } ، بعض الآيات يريد الله سبحانه وتعالى لحكمةٍ منه أن تُنسخ وأن تُرفع قراءتها فيُنسيها الله سبحانه وتعالى النبي صلَّى الله عليه وسلم وهذا قول كثير من أهل العلم إن معنى {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ } أي إلا الآيات التي شاء الله سبحانه وتعالى أن تنساها، وهي الآيات التي نُسخت لكن **الأصل في القرآن أنّه باقٍ فعموم الوحي الأصل فيه أنه محفوظ لا يُنسخ إلا بدليلٍ على النسخ**، وهناك آيات رُفعت تلاوتها وأنسى الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم إياها لأن هذه الآيات كانت لحكمةٍ منه سبحانه وتعالى ثمّ رُفعت.

- {سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى} طمأنةٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه على هذا الوحي،
- الذي طمأنه الله عليه في سورة البروج وقال له: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾} [البروج:٢١-٢٢] أي: هذا القرآن محفوظٌ في السماء،

٢ [عن عبدالله بن عباس:] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {لا تُحَرِّكْ به لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}، قالَ: كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إذا نَزَلَ جِبْرِيلُ بالوَحْيِ، وكانَ مِمّا يُحَرِّكُ به لِسانَهُ وشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عليه، وكانَ يُعْرَفُ منه، فأنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي: لا أُقْسِمُ بيَومِ القِيامَةِ: {لا تُحَرِّكْ به لِسانَكَ لِتَعْجَلَ به، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ} قالَ: عَلَيْنا أنْ نَجْمَعَهُ في صَدْرِكَ، {وقُرْآنَهُ فإذا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}: فإذا أنْزَلْناهُ فاسْتَمِعْ، {ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ}: عَلَيْنا أنْ نُبَيِّنَهُ بلِسانِكَ، قالَ: فكانَ إذا أتاهُ جِبْرِيلُ أطْرَقَ، فإذا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وعَدَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ. {أَوْلى لَكَ فأَوْلى} تَوَعُّدٌ
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٩٢٩ • [صحيح]

- ثم في سورة الطارق طمأن الله عز وجل النبي صلَّى الله عليه وسلم والمؤمنين على الوحي وأنه ينزل من السماء محفوظًا وأن السماء محفوظة، وأن أي شيطان يحاول أن يَستَرِق السمع ويحاول أن يستمع إلى الوحي، تحرقه الشُهُب {النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق:٣] ثم طمأنه على استقرار الوحي في صدره.

هذه هي رحلة الوحي:

- القرآن في لوحٍ محفوظ، وذُكِرَ اللوحِ المحفوظ في سورة البروج، فطمأنه عليه في السماء.
- ثم رحلة النزول في سورة الطارق.
- ثم في صدر النبي صلَّى الله عليه وسلم في سورة الأعلى.

فالسور الثلاثة تحكي رحلة الوحي، وتطمئننا أن هذا الوحي محفوظ، وطالما أن هذا الوحي محفوظ فإذًا الدين سيظل قائمًا، وسيظل الدين منتصرًا، لأن هذا الوحي هو الذي يصنع الرجال الّذين يقومون بنُصرة هذا الدين.

لا بد لهذا الوحي من عمل

{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾} أي: يعلم ما تتكلم به، ويعلم ما بداخلك، ويعلم ما بسِرِّك {فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}[طه:٧] كما قال ربنا سبحانه وتعالى في سورة أخرى.

{إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} فإن هذا الوحي نزل للعمل، لذلك من معاني سورة الغاشية –مثل ما سمعتموها مع الشيخ عمرو–، التركيز على قضية العمل{عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ} [الغاشية:٣] وأن هناك من يعمل بطريقة خاطئة فقال ربنا سبحانه وتعالى هذا الوحي لا بد له من عمل، لا بد أن ننشر هذا

الوحي، فقال ربنا سبحانه وتعالى بعده {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾}.

نحن قلنا أن الرزق نوعان:

- رزق يُصبح "غُثَاءً أَحْوَى"، وهو الرزق المادي.

- ورزق يبقى في صدر النبي صلَّى الله عليه وسلم ويبقى في صدور أهل العلم كما في سورة العنكبوت: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ } [العنكبوت:٤٩] فالقرآن سيظل محفوظًا إلى أن يُرفع من الصدور.

{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾}

التيسير للعمل بهذا الوحي

ثم قال ربنا سبحانه وتعالى بعدها {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ} **تخيل حينما تُصبح أنت مُيَسَّر للعمل**، والطريق الذي تسير فيه مُيَسَّر، يعني تخيل الطريق الذي يظنه الناس شاقًا، طريق الدعوة أو طريق نُصرة الدين أو طريق أهل الصلاح، فالناس تظن أن في هذا الطريق الصعوبة وتظن أن فيه المشقة، ويقول الله سبحانه وتعالى أن هذا الطريق وأن الجنة التي نريد أن نصل إليها هي اليسرى –هي مُيَسَّرة– وأيضًا تُصبح أنت مُيسَّرًا لليسرى فالأمر كله بتيسيره سبحانه الله.

أحيانًا الطريق يكون مُيَسَّرا، الصلاة تكون سهلة ويستلذ بها بعض المؤمنين وتكون ثقيلة على بعضهم، فأحيانًا الإنسان يُصَعَّب عليه الأمر السهل، بمعنى أنه من الممكن أن يتعلم إنسان مثلًا لغات كثيرة ولا يستطيع أن يقرأ الفاتحة، فهو عنده القدرة وعنده الذكاء وعنده القوة ثم يجد صعوبة في الدين. فهذا لم يُيَسَّر له، لذلك تقول: {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾} [طه:٢٥-٢٦] أي

أنك تطلب من الله عز وجل أن يُيسِّر الأمر لك، هنا يَسَّر الله النبي لما هو مُيَسَّر أصلًا، فقالوا يُيسِّرك للعمل بالوحي أو لنشر الوحي –للدعوة إلى الله–. النبي صلَّى الله عليه وسلم يُسِّر له الدعوة إلى الله، نشر هذا الوحي الذي استقر في صدره والذي طمأنه الله سبحانه وتعالى على حفظه في صدره حتى لا يُحرِّك به لسانه ليَعجَل به.

طمأن الله عز وجل النبي على الوحي في سورة البروج، وطمأنه على الوحي في سورة الطارق وقال: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}، ثم في سورة الأعلى يطمئنه على الوحي في صدره صلَّى الله عليه وسلم. وسيستمر في صدور أهل العلم وقبل الساعة يُرفع القرآن من الصدور... ثم طمأنه أنه يُيَسَّر للعمل بهذا الوحي وبنشر هذا الوحي، إذًا كيف نواجه جهد أهل الباطل؟

بحفظ الوحي، وبتَعَلُّمه وبنشره وبالعمل به وبالجهاد به، هكذا يُحفظ الدين هكذا يستمر الدين.

{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى} فطالما أن الوحي محفوظ وطالما أنت مُيَسَّر، فقم بوظيفتك، ووظيفتك هي الدعوة، هي التذكير،

{فَذَكِّرْ} أي فإذا علمت، والفاء بعض أهل العلم يسموها الفاء الفصيحة، فصَحَت عن مقدر محذوف، أي فإذا علمت أن الله هو الأعلى وأنه خلق فسوى، وأنه قدَّر فهدى، وأنه أخرج المرعى، وأنه سيُقرئك فلا تنسى، إذا علمت كل ذلك وأنك مُيَسَّر، إذًا اعمل في الدعوة إلى الله، اجتهد {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} [الشرح:٧]، أي اجتهد بتذكير النّاس بربهم وبالدار الآخرة.

هل الداعية يفكر في من يدعو؟

يختلف أسلوب الدعوة من بيئة لأخرى...{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى}، اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: {إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى}؟ هل يفكر الداعية قبل أن يدعو، هل هذه البيئة ستقبل دعوته؟ هل هؤلاء الناس ليسوا من أهل الجحود والإنكار؟

هناك ما يسمى بـ((**التبذير الدعوي**))، تكلمت عنه بالتفصيل في شرح سورة ياسين، **ما هو التبذير الدعوي؟ أن تضع الكلمة الطيبة والدعوة عند من لا يستحقها**، أُناس لطالما تكلم أُناس معهم وهم في قمة الإعراض، وهم من أئمة الكفر وهم من أهل العناد، هؤلاء –غالبًا– لن يؤمنوا.

لذلك قال بعض أهل العلم: ليس هذا هو المقصود من الآية، ليس معناها أن تتلمَّس هل ستنفع الذكرى أم لا؟ إن اعتقدت أو ظننت أن الذكرى سوف تنفع فقم بها، هذا هو المعنى الأول.

وألا تنشغل بصناديد الكفر، لا تنشغل بهؤلاء عن المقبلين، كما عاتب الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم في سورة عبس،عاتبه في ابن أم مكتوم، ألا ينشغل بالملأ المعرضين الجاحدين، الرافضين للحق، وينشغل عن المقبلين.

ولكن قال بعض أهل العلم قول آخر: {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى} هناك محذوف في هذه الآية، أي إن نفعت أو لم تنفع، ولكن ذُكِر الأمر الأقرب لنفس النبي صلَّى الله عليه وسلم، الأمر الميسر للنبي صلَّى الله عليه وسلم، إذًا بعض أهل العلم قال: استمر في الدعوة حتى لو أعرضوا، حتى لو جحدوا، حتى لو أنكروا... هذا عليهم هم وليس عليك أنت{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ} [يس:١٠] ، لكن الأمر بالنسبة لك أنت لابد أن تستمر في الدعوة.

أيًّا كان القولين سواء الإنسان يستمر في الدعوة، فلا بد للداعية أن يكون عنده بعض الحِكمة، أن ينظر لو هذا إنسان جاحد معاند، كأن تجد أحياناً نقاش مع الملحدين، فتجد ملحد مثلًا عبارة عن نافورة أسئلة، بمعنى آلة لتوليد أسئلة شبهات، يسألك عن شبهة تجيبه؛ فيخرج من الإجابة شبهة، فتجيبه، وهكذا –تشعر وكأننا نلعب معًا– هذا شخص لا يبحث عن الهداية، لذلك في الآية {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة:٢]، لا بد أن يكون هناك نوع من الخوف بعد ما رأى الآيات في الكون، لا بد أن يخشى، لا بد أن يشعر أن هذا الكون لم يُخلَق عبثًا، ولو بداية شعور، لا بد أن يبحث.

فأحيانًا أجد أن بعض الإخوة يضيِّع أوقاتًا مع ملحدين مُعرضين.

بعض التجارب البسيطة، من الممكن أن شخصا يبقى يعبث بالأسئلة، هو يسأل لأجل أن يُريح ضميره، لأجل أن يقول: سألت ولم يستطع أحد أن يجيبني، لكن هناك أُناس تسأل باحثة عن الحق، لو لم تجبه أنت يذهب لشخص آخر، ويسأل ويبحث.

مثلًا أحد الشباب يقول لي: أنا مُلحِد. أقول له: لماذا ألحدت؟ قال لي: لأنني وجدت أخطاءَ في القرآن، قلت له: أنت وجدت أخطاء في القرآن، فلا تكن مُلحِدًا، بل قل: القرآن به خطأ، سأبحث عن دين آخر، لكن وجود أخطاء في القرآن- على زعمه- يجعلك تنكر وجود الله؟ حسنًا، ما ردك على هذه الآيات في الكون؟ فسكت. قلت له: لو أنت تسير بصورة منطقية فأنت تسمى ((ربوبي))، أي: تؤمن بوجود الله، لكن تظل تبحث عن الدين، ما زلت لم تعرف ما هو الدين الحق؟ الدين الحق، فجلس يفكر، هو لا يعلم لماذا ألحد! ثم تكلمنا عن الأخطاء التي يدَّعيها في القرآن.

فأحيانًا هناك إنسان يعبث، و أحيانًا يكون الإنسان جاد، لديه شبهة تؤرقه، هذا إذا سأل لابد أن يجيبه أهل العلم، فالشاهد مثل ما قلنا هناك خلاف في قوله تعالى {إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى}، ثم أخبرك ربنا سبحانه وتعالى من الذي سيستجيب لك ومن الذي سوف يُعرِض عنك.

من سيستجيب ومن سيعرض

{سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى}، تكلمنا في كلمة {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}، يجب أن يكون هناك بدايةً خوف، خائف أنه يُسأَل بعد الموت، بداخله تساؤلات وهذه من فطرته، بداخله تساؤلات،

- ماذا سيحدث لي بعد الموت؟
- هل كل هذه الحياة عَبَث؟
- هل كل هذه القِيم والمعاني التي بداخلي جاءت عشوائية؟
- هل كل الدِقة التي في الكون جاءت عَبَث؟

هذه التساؤلات تظل بداخل الإنسان منهم من يُميتها، ومنهم من يُسكِتها، ومنهم من يبحث عن إجابة لها، **فالذي يبحث وهو خائف، هذا هو الذي سيستفيد من الوحي.**

الذي سيعرض

فقال ربنا سبحانه وتعالى {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا..}، الها تعود على الذكرى، أي: يتجنب الدعوة، يوجد شخص لا يريد أن يسمع، يرفض، يتجنب! بمعنى: إذا عرف أن هناك درس، فهو لا يريد أن يسمع، لو رأى مجموعة من الشباب يكلمون الناس بالشارع، يبتعد لا يريد أن يسمع، {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}، الأشقى: الأكثر شقاءً والعياذ بالله، هذا الذي يبتعد عن دعوة النبي صلَّى الله عليه وسلم، لذلك ذكرنا في سورة الملك أن هذا الأشقى يقول يوم القيامة: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ} [الملك:١٠] ، يا لَيتني سمعت، يا ليتني سمعت مواعظ، يا ليتني قرأت القرآن، لكنه رفض!

{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}، هذا الأشقى –والعياذ بالله– اختار لذة الدنيا على الآخرة،

قال ربنا سبحانه وتعالى: {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى}، النار الكبرى،

- قيل: أن الصغرى نار الدنيا،
- وقيل: الكبرى أي نار الكافرين والعياذ بالله، و هناك نار لعصاة المؤمنين،

{الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}، ثم والعياذ بالله بعد أن يصلى النار الكبرى يعيش حالة بين الموت والحياة، يخرج نَفَسُه، يظن أنه سيموت ويستريح، ثم تعود إليه الحياة، يظن أنه يعيش حياة طبيعية، يكاد أن يموت، {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ} [إبراهيم:١٧] ، بعض أهل العلم قال في هذه الآية في سورة إبراهيم : من أشد آيات النار عذابًا، {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ}، أي أسباب الموت تأتيه من كل أنحاء جسده، يظن أنه سوف يموت وما هو بميت والعياذ بالله، **من أشد ألوان العذاب أن يعيش الإنسان بين الحياة والموت، لا هي حياة طبيعية ولا هو موت فيستريح**.{ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}.

الذي سيستجيب

قد أفلح الذي استجاب لهذه الدعوة، الذي استجاب لتذكير النبي صلَّى الله عليه وسلم، الذي ارتبط بالرزق المعنوي، برزق الوحي، {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى}، **{تَزَكَّى}، فيها معنيين، فيها: التطهر والنماء،**

"زكاة المال" أنت تُطهِّر مالك من المال الخبيث وهذا يؤدي إلى نماء المال، وكذلك تزكية النفس تطهر النفس من الصفات الخبيثة، وأيضًا تقوم بتنمية النفس بالصفات الطيبة،

{قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى}، أعرَض عن الصفات الخبيثة،

{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}، **إذًا الاستجابة للوحي ليست مجرد استجابة سماعية**، هذا الذي تزكَّى هو الذي استمع لتذكير النبي صلَّى الله عليه وسلم، فبعد ما ذكَّره النبي صلَّى الله عليه وسلم انتقل من حالة التذكير إلى حالة التزكية.

بمعنى أن المرء ينسى، يعيش في الحياة وينسى أنه سيموت، ينسى أن هناك حساب وبعث وصراط ونار وجنة، وحوضٌ للنبي صلَّى الله عليه وسلم، ينسى هذه الأمور في زحمة الحياة ويأتيه الداعية ويذَكِّره، يسمع درس أو يقرأ القرآن فيتذكر، فحينما يتذكر ينتقل في مراحل الارتقاء،

- إذًا أول مرحلة التَذَكُّر،
- ثم التزكية،
- ثم يذكر اسم ربه، يبدأ في ممارسة أعمال الطاعات،
- {تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ}، وبعد ما ذكر اسم الله، اشتاق إلى الصلاة، الإنسان حينما يذكر اسم الله سبحانه وتعالى يشتاق إلى الصلاة، هذا هو **الذكر الحي**، هناك شخص يقول: سبحان الله، الحمد لله، وبعد فترة من الذكر يريد أن يقرأ القرآن، يريد أن يعمل الصالحات، هذا هو الذكر الحي، الذكر الفعَّال، {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سورة تسمو بك

ما الذي يمنع الناس من هذا الارتقاء؟ ما الذي يمنع الناس من الارتقاء لمراحل التذكير والتزكية والصلاة؟ {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ، أنتم تبتعدون عن التَذَكُّر، تبتعدون عن الوحي، تبتعدون عن الصلاة، ، والسبب –والعياذ بالله–: **إيثار الحياة الدنيا**، هذا مرض خطير في البشرية من لدن آدم، لذلك قال الله سبحانه وتعالى أن التحذير من هذا المرض ورد في صحف إبراهيم وموسى، { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾}.

إذًا هذه السورة سورة الأعلى تسمو بك، لها نصيب من اسمها، **تريد أن ترتفع بك عن ملذَّات الدنيا، عن الرزق الحسِّي الذي يُصبح {غُثَاءً أَحْوَى}**، عن أن تُؤثِر الدنيا، هذه السورة ترتفع بك، فتقترب أنت {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب} [العلق:١٩] ، تكون قريبًا من الله سبحانه وتعالى، هذه السورة ترتفع بك عن ملذَّات الدنيا، عن أن تُؤثِر الحياة الدنيا.

أكبر مانع من ارتقاء الإنسان هو أنه يُؤثِر الطين، {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، والإيثار عند التنافس، بمعنى يختار بين هذا وهذا، {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، أجعل هذا شعارك ((**أي تعارض بين الدين والدنيا اختر الباقي، اختر الأفضل**)).

فيقول الله سبحانه وتعالى {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا..}،

- سواء هذا الذي هو التحذير من الدنيا،
- أو هذا المعاني التي ذُكِرت في السورة،
- أو هذا التحريض على ذكر الله والصلاة،

أيًّا كان، {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}، هذه المواعظ جميعًا في {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}، **على مدار البشرية أن هذه من الأمور التي يحتاجها الإنسان في كل وقتٍ وحين، هذه معاني ثابتة لا تختلف من شريعة لشريعة.**

معاني كل البشرية تحتاج إليها، يحتاج كل الناس أن يُقبِلوا على الله سبحانه تعالى أن يتمسكوا بهذا الرزق الباقي، أن يتمسكوا بالوحي، أما الرزق الآخر فهو رزق فاني، وأيضًا يفنى مع فناء الجسد، أما هذا الرزق يعلو بالروح؛ لأنه غذاء الروح، يرفع هذه الروح عند الله سبحانه وتعالى، ويُقال لقارئ القرآن: اقرأ ورتل وارتق[٣]، **فالوحي يرفع الإنسان ويسمو به؛ لذلك هذه السورة سورة الأعلى من معانيها، أنها تعلو بالإنسان.**

أسأل الله –عز وجل– أن يرزقنا العمل بالقرآن، وأن يرزقنا فهم كتابه والعمل به، والمجاهدة به، وأن يجعلنا وإيّاكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣ [عن عبدالله بن عمرو:] يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرأ وارتَقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ١٤٦٤ • حسن صحيح • أخرجه أبو داود (١٤٦٤) واللفظ له، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٥٦)، وأحمد (٦٧٩٩).